تقديم د: عباسية بن سعيد المستوى : دراسات نقدية(س6) التخصص: نقد و مناهج

مقياس : النقد الأسلوبي

المحاضرة السادسة: الأسلوبية البنيوية (الجزء الثاني)

الأسلوبية البنيوية مرت بمرحلتين بارزتين تمثلتا في:
الأسلوبية الوظيفية في زعامة رومان جاكسون (1896 –1982) وأسلوبية التلقي والانزياح بزعامة ميشال ريفاتير.

1–الأسلوبية الوظيفية :

عرفت بالوظيفية لأنّها ترى أن المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية لا تكمن في اللغة وحدها في نمطيتها، إنما كذلك في وظائفها.

تنطلق هي الوظيفة في بحثها من النص كنسق لغوي،متأثرة في طروحاتها بما توصّلت إليه اللسانيات الحديثة، وبخاصة علوم الأصوات والصرف والتراكيب، لرصد ما يحمله النص من دلالات وإيحاءات بدأ بمفرداته وتراكيبه المشكلة له.

وقد ركز جاكسون الوظيفة الشعرية كونها أبرز وظائف النص الأدبي التي تبرز في ضوء محوري الاختيار على مبدأ التركيب. كاختيار مفردة من المفردات المترادفة تأهيلا لما يناسب و يلائم مقامها في الكلام. مثلا ذهب عوض برح، سافر، راح، غادر...

في التركيب (ذهب الذين أحبهم) بعيدا عن الغموض والتشفير لدرجة ابتعادها عن التداول والتواصل. لأنّه يضع المتلقي في حيرة لفهم النص.

و قد توقّف جاكسون في دراسته للأصوات عند العلاقة بين الصوت و المعنى،و رأى أنّها قد تكون علاقة متشابهة أو علاقة مغايرة،و بحسب رمزية الصوت وعلاقتها الموضوعية، و أنّها علاقة تتجلى في الشعر.كما يبيّن أنّ الوزن هو الذي يفرض التوازي (في تحليل الشعر)،لأنّ بنية البيت الموسيقية والوحدة النغمية،و تكرار البيت، والأجزاء العروضية التي تكوّنه،تقتضي من عناصر الدلالة النحوية و المعجمية توزيعا متوازيا، و أنّ الأصوات في الحالة أسبق من الدلالة.

و لما أهملت الأسلوبية الوظيفية دور المتلقي في العملية التواصلية، جاءت أسلوبية التلقي لتعطيه حقّه من الاهتمام، خاصة و أنّه الطرف الأكثر بروزا في اكتفاء النص غايته من الإنتاج.

2- أسلوبية التلقي و الانزياح: عند ميشال ريفاتير

اتّخذت الأسلوبية البنيوية مع ريفاتير مسلكا جديدا في تناول الأسلوب،وسطّر خطواته في كتابه الموسوم "محاولات في الأسلوبية البنيوية" الصادر سنة1971. فقد اعتنى بلسانية الأسلوب، و تفكيك الشفرة التواصلية في إطار علاقة المرسل بالمرسل إليه،و من ثمّ فقد ركز على آثار الأسلوب في علاقتها بالمتلقي ذهنيا و وجدانيا. كما ربط الأسلوبية باستكشاف التعارضات الضدية، و بيان الاختلافات البنيوية التي يتكئ عليها أسلوب النص. فضلا عن اعتنائه بالانزياح في تعارضه مع القاعدة والمعيار، فضلا عن دراسته للكلمات عبر تموقعها السياقي، بمعنى أنّ ريفاتير كان يدرس الأساليب بنيويا و سياقيا، ثم انتقل بعد ذلك إلى سيميوطيقا الشعر وإنتاج النص، مركزا بشكل خاص على القارئ النموذجي في استكشاف الواقع الأسلوبية فهما وتفسيرا وتأويلا.

ومنه انصب اهتمام ريفاتير على بعض الظواهر اللغوية التي يصنع بها الأسلوب نفسه رداء متميزا و طريفا،إذ يعرّف الأسلوب بقوله:"الأسلوب إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام و حمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوّه النص،وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة، مما يسمح بتقرير أن الكلام يعبر، و الأسلوب يبرز."[1]

وتعد هذه الفكرة،من أخطر القضايا التي طرحها ريفاتير في نظرته للأسلوب،لاسيما أنها تقوم على مبدأ الاختيار و الانتقاء في عملية الإنشاء، ثم المعالجة والقراءة.

و من ثمّ يرى ريفاتير أنّ الرسالة الأدبية لا تحقق ذاتها إلا بتواصلها مع متلقيها، إذ يصبح الباث و المخاطب طرفي عملية الإخبار عنده، إذ تكمن عناية المؤلف في عملية الإبلاغ الأدبي في توجيه القارئ توجيها يقوده إلى تفكيك الرسالة اللغوية على وجه معين مخصوص،

[1]- عبد السلام المسدي : الأسلوب و الأسلوبية،ص 66.

فيعمد الباث إلى شحن تعبيره بخصائص أسلوبية تضمن له هذا الضرب من الرقابة المستمرة على المتقبل في تفكيكه للمضمون اللغوي. [1]

ترتكز أسلوبية ريفاتير على"التواصل"؛كون الأسلوب أثرا يحمل طابع شخصية المؤلف ويلفت انتباه الأسلوب ، إذ " اللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج و الأسلوب مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة و يستغل أكبر قدر منها الكاتب الناجح وصانع الجمال الماهر،الذي لا يهمّه إيصال المعنى فحسب ، بل يبغي إيصال المعنى فحسب، بل ينبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها،وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدام معه الأسلوب"[2] كأسلوبية التلقي تدرس السمة التعبيرية في نقل حمولة عالية من المعلومات، فكلما ازدادت تقنيات التعبيرية تعقيدا، ازداد إمكان اعتبارها فنا لغويا،و هكذا تقوم الأسلوبية باستقصاء الأسلوب الأدبي،و ههنا يتبدى الاختلاف بين رؤية جاكسون الذي لم يتعد تحليل الأسلوبي معه مدار التحليل اللساني؛ بإغماضه الرسالة اللغوية، في حين يتجاوزه ريفاتير إلى التداول.[3] و رأى أنّ الوظيفة الشعرية لا تتجلى إلا من خلال تأثيرها على المتلقي أو المرسل إليه. فريفاتير يجعل المتلقي طرفا أساسيا في تحقيق ما سماه الوظيفة الأسلوبية. ومن ثمّ فالظاهرة الأدبية لا تستوي في علاقة المؤلف بالنص، وإنّما في علاقة النص بالقارئ."والنص الأدبي المتمكّن من أدبيته لا تتلفه القراءات المختلفة،لأنّ تنوّع القراءات دليل على طاقة النص الأدبية،وهذه سمة من سمات بقائه و إثارته لردود أفعال القراء."[4]

و نخلص إلى أنّ ريفاتير يرى بأنّ لكلّ نص مظاهره الأسلوبية التي ينبغي أن تدرس وتحلّل مستقلة عن النصوص الأخرى ، إضافة إلى تركيزه على استجابة القارئ لتحديد سمات الأسلوب في الخطاب الأدبي.

---

[1]–موسى سامح ربايعة : الأسلوبية – مفاهيم و تجليات– ، ص15

[2]–عبد السلام المسدي:الأسلوب و الأسلوبية،ص 67.

[3]– المرجع السابق، ص 15

[4]- ينظر أنور المرتجى :سيميائية النص الأدبي ، ط إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، ص7.